

السبّك النّحوي في النّص الشعري الجزائري المعاصر
دراسة نصيّة لقصيدة العلامة عبد الحميد بن باديس (شعب الجزائر مسلم)
أنس مزوزي طالب دكتوراه جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم
د. حسين بن عائشة جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم.

الملخص:

تعدّدت المذاهب والمدارس التي تناولت النّص بالدراسة والتحليل وتعدّدت وجهات النظر فيها إلى النص وحده ومظاهره وظروف طرحه وتلقّيه، ثم ما كثرت المدارس في الظهور حتى ظهرت جامعة العقد لسانيات النص ذل التّيار الذي يُعنى بمقاربة النصوص الأدبية، وغير الأدبية من وجهة نظر لسانية تتجاوز مستوى المفردة إلى النص، بوصفه بنية دلالية كبرى له وظائف متعددة، التي جاءت كردة فعل مخالفة للمناهج التي قصرت دراستها على الجملة الواحدة، ونحن في هذا العمل سنسلط الضوء على دراسة نصيّة لقصيدة العلامة بن باديس "شعب الجزائر مسلم" نرى فيها آليات السبّك النحوي وهو مظهر من مظاهر المعايير النصيّة للسانيات النص، ونجيب عن اشكالية البحث وهي ما هو الاتّساق والاتّساق النحوي وماهي طبائعه التي نلمسها في القصيدة ؟ ما المفهوم ؟ ما الآليات؟

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول لكم وفقكم الله، وجعلكم أوفياء لخدمة لغته وكتابه، ولكم منا أسمى آيات التقدير والاحترام.

الكلمات المفتاحية: الاتساق، الترابط، الإحالة، النّص، الخطاب، المطابقة، التضمّان، الحذف

Sommry

The variety of schools and beliefs which study the passage (the text) with the analyses lead to many opinions, its characteristics and the whole circumstances of giving and receiving it. Varions schools lead to the apperance linguistic text this field studies the approach of litterary texts and non – litterary ones, looking at them with linguistic sight which overcomes the level of an item (a word) to a text, describing the construction of semantic basis – this study comes as a reaction, rejecting the syllabus which concentrate on the sentence only.

We, in the work, will thron light on the study of the poem of ALALAMA (Ibn Baddis) (The Algerian people are Muslims) we will deal with the means of Cohesion grammar. The latter is one of the features that concern the standords of the linguistic text. We are going to answer the question of our research what do we mean by cohesion ? what are its features ? what we are going to see in this poem ?

In the end, one may say that May Allah be with you and guide you to study and save his language and his Holy book (coran). Many thanks.

مقدمة:

ظهر في أواخر الستينات من القرن الماضي، وبالتحديد في غرب أوروبا تيّار معرفي جديد يُعنى بمقاربة النصوص الأدبية، وغير الأدبية من وجهة نظر لسانية تتجاوز مستوى المفردة إلى النص، بوصفه بنية دلالية كبرى له وظائف متعددة، هذا التّيار أطلق عليه اسم: لسانيات النّص، والذي جاء كردة فعل مخالفة للمناهج التي قصرت دراستها على الجملة الواحدة، فتناولتها مفردة معزولة عن سياقها باعتبارها الوحدة الكبرى القابلة للتحليل، وتوسعت في دراسة الأجزاء المكوّنة لها، وبذلك ركّزت على الجانب الوصفي للغة، وأهمّلت الدّلالي والتداولي منها.

و اللسانيات كغيرها من العلوم اللغوية الأخرى تحاول أن تشقّ طريقها لإثبات أحقيتها في الاعتماد عليها لمعالجة وتحليل النصوص و الخطابات من خلال جملة من الوسائل والآليات، وذلك بالتركيز على مبدئين أساسيين هما:

- البحث في كفيّة ترابط النّص، وتماسكه من خلال الاجزاء المكوّنة له.
- الكشف عن الوسائل اللغوية التي تجعل من النّص وحدة قائمة بذاتها، متميّز عن غيرها مترابطة فيما بينها.

وفي هذا المقال سنتعرض إلى معيار من المعايير النصيّة التي حدّدها دي بوغراندي ودريسلر وجرى عليها الباحثون في إثبات نصيّة النصوص من عدمها، هذا المعيار هو الاتّساق أو الترابط الرّصفي كما ذكر دي بوغراندي بترجمة تّمّام حسن.

ولعلّ هدفنا من إثارة هذا الموضوع التعرف على آليات الاتّساق التي تساهم بشكل أساسي ومباشر في تحقيق النصيّة، هذا انطلاقاً من المدوّنة المختارة (قصيدة شعب الجزائر مسلم) للإمام عبد الحميد بن باديس فلقد جعلنا من المنهج اللساني النصي مطيّة لدراسة القصيدة لأكشف ما استطعت عن مدى ترابطها واتساق الأجزاء المكوّنة لنصّها.

ولقد انطلقنا من اشكالية مفادها: ما هو الاتّساق والاتّساق النحوي وماهي طبائعه التي نلمسها في القصيدة؟ ما المفهوم؟ ما الآليات؟ كيف هي أشكاله التي يتجلّى بها في القصيدة؟ وما دوره في الخطاب الشعري؟

وسنعمد فيما يلي إلى تعريف الاتّساق في اللغة والاصطلاح، والنظر في التّأثير العام النظري للاتّساق النحوي، لنهني الموضوع بالجانب التطبيقي على القصيدة

مفهوم الاتساق:

1-2. لغة:

إذا رجعنا إلى القواميس، وأمّهات الكتب العربية باحثين عن المعنى الذي يمكن أن يأخذه الجذر (و.س.ق)، فإننا نجده يدور حول مفهوم الاكتمال والتمام، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (711هـ) في الجذر (و.س.ق): وسقت النخلة إذا حملت، فإذا كثر حملها قيل: «أوسقت أي حملت وسقاً - وسقت الناقة وغيرها تسق أي حملت وأغلقت رحمها على الماء، فهي واسق، واستوسقت الإبل: اجتمعت، والاتساق: الانتظام¹

أما الفيروز آبادي (ت817هـ) في القاموس المحيط: وَسَقَهُ، يَسِقُّهُ جَمَعَهُ وَحَمَلَهُ ومنه: (والليل وما وَسَقَ) وطرده ومنه الوَسِيقَةُ وهي من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معاً، والناقة حملت وأغلقت على الماء رحمها فهي واسق، واستوسقت الإبل اجتمعت، واتسَقَ انتظَمَ، والميساق الطائر يصفق بجناحيه إذا طار²،

والملاحظ في الذي ذكر ابن منظور والفيروز آبادي والسيوطي أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر (و.س.ق) هو الاجتماع والانتظام والاكتمال، وهذا لا يبتعد أبداً عن المعنى الذي يدور الآن في كتب الاختصاص في لسانيات النص.

1-2. اصطلاحاً:

يعني الاتساق، ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة³ حيث تتآزر التراكيب والعناصر لتشكل وحدة متألّفة، متنسقة بما تلعبه مختلف الروابط من دور في تلاحم الجمل ببعضها البعض، لأن اجتماع العناصر بالأصول، والعناصر اللغوية والكلمة

والجمل اجتماعا عاديا بالمفاهيم أو بمجموعات من المفاهيم التي يتعلق بعضها ببعض في أنظمة متماسكة هو نفسه حقيقة اللغة.⁴

يعرفه محمد خطابي على أنه : «ذلك التماسك الشديد بين الأفراد المشكلة لنص/ خطاب ما يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته»⁵.

ولقد أقرَّ إبراهيم خليل في كتابه "في اللسانيات ونحو النص" : أنَّ "هارفنج" أول محاولة (1968) جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص من خلال الحديث على بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة الاستبدال مشيرا إلى التكرار و الحذف و الترادف والعطف و التفرغ والترتيب وذكر النتيجة بعد السبب و الجزء بعد الكل أو العكس، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص⁶ والاتساق بهذا المفهوم، «لن يكون موجودا في النص إلا إذا توفرت على الآليات التي تجمع النص عموما والتي يقسمها (فان دايك) إلى مجموعتين، إحداها مجموعة الروابط المنطقية، وبعضها طبيعي ينبع من طبيعة التركيب اللغوي»⁷

ويرى تمام حسان : «أن التعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى، فإذا استثنينا جملة الإثبات والأمر بالصيغة (قام يزيد، زيد قام، قم) وكذلك بعض جمل الإفصاح، فإننا سنجد كل جملة في اللغة العربية على الإطلاق يتكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة»⁸.

فدور الاتساق حسب "هاليداي" و"رقية حسن" في نشأة النص إنما هو توفر عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات المعنوية المختلفة، فالترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص ومن أجل ذلك الترابط النصي لا بد من توفير مجموعة من الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص وهذه الوسائل هي : الإحالة، الضمائر، الاستبدال، الحذف، والربط والاتساق المعجمي⁹.

أما محمد الشاوش فيعرف الاتساق : «بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها بعض»¹⁰

1. أشكال الاتساق:

نقتصر فيهما على الآليات الأساسية فقط، مجانبين بهذا التطويل والقصد في تحليل أهم العناصر التي تُحقق هذا الترابط الشكلي في النص.

1-2 عناصر الاتساق النحويّة:

1-1-2 الإحالة:

الإحالة "reference" هي من أهم أدوات الاتساق النصي، ويقصد بها «وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة..... الخ»¹¹ وقد عرفها دي بوجراند بأنها «العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والموقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات»¹² ويقول "جون لاينز" في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة "إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة فالأسماء تحيل إلى المسميات»¹³ وتطلق تسمية العناصر الإحالية – الأزهار الزناد على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص»¹⁴

ولقد قسم كل من رقية حسن وهاليداي الإحالة إلى قسمين :
الإحالة النصية: وتكون بين عنصرين لغويين من داخل النص نفسه وتتفرع إلى :
إحالة قبلية: وذلك عندما سبق المحال إليه المحيل، وهي تعود على مفسر سبق التلطف به وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمّر، وهي الحالة الأكثر شيوعاً.

إحالة بعدية: فيما يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه، وتستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل على تكثيف اهتمام القارئ.¹⁵

الإحالة المقامية: وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي أي خارج النص، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم فهي تعمل على إفهام النص وتأويله، وتخرج النص من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على عالم السياق والتداولية «تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بالسياق والمقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر».¹⁶

الإحالة المقامية تؤدي إلى توسيع دلالة النص، إذ تطلق العنان للتأويل وتعدد الآراء والقراءات، فتضيف إلى النص وضوحاً دلالياً على الحقيقة.

والإحالة بنوعها الخارجية (المقامية) والداخلية (النصية) ومهما تعددت أنواعها فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع.¹⁷ أما عن عناصر الإحالة فقد أشار إليها اللغويون وحددها.

وسائل الاتساق الإحالية:

وهي تلك الألفاظ التي نعتمد عليها لتحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه، وأطلق عليها الأزهر الزناد (العناصر الإحالية) في اللغة و عدها من قبيل المعوضات، وأشار إلى أنها تأتي تعويضاً عن وحدات معجمية يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر الإشاري، وتشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن، وتنقسم العناصر الإحالية عنده إلى :

1. الضمائر.

2. أسماء الإشارة.

✓ الضمائر:

الحقيقة أن الضمير يعتبر رابطاً من الروابط الاسمية، سواء كان بارزاً أو مستتراً، ذلك لأنه - وإن كان مستتراً، ويدرك بالعقل، ويستنبط من خلال المعنى- فإنه في بعض المواضع يأتي رابطاً للجملة التي يستتر فيها بالجملة التي قبلها، نحو قوله تعالى :

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

فالضمير المستتر في (يسعى) يربط الجملة بما قبلها.

وتعد الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة، فلو أردنا الحقيقة، على ماذا يحيل ضمير المفرد الغائب (هو) لو أخذ منعزلاً لما وجدنا له معنى خاصاً يتفرد به ولا يرتبط فيه بلفظ آخر، بل نجده يشير دوماً إلى المرجع الذي يعود عليه وقد أدى هذا بالعديد من اللغويين إلى القول بأن صبغة إسمية مثل (هو) ليست في الواقع أداة محيلة، وأنها لا تستعمل إلا في الإحالة داخل النص، أي داخل نص يحتوي كذلك على صبغة إسمية كاملة.¹⁸

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل : أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن..... الخ وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابنا.... الخ.¹⁹ وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً

(هو، هي، هم، هن، هم). و مما تجدر الإشارة إليه أنّ الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء و الأفعال و العبارات و الجمل المتتالية، فقد يحلّ الضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلاً و دلالة داخلياً endophoric وخارجياً exophoric و سابقة anaphoric و لاحقة cataphoric²⁰

✓ أسماء الإشارة:

يذهب الباحثان "هاليداي" و "رقية حسن" إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها، إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...) والمكان (هنا، هناك ...) ²¹، أو حسب الإشارة المحايدة، وتكون بـ "The" أي ما يوافق أداة التعريف²²، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء....) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا...)، ومما هو ملاحظ فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدى وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزء لاحق بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المغرد يتميز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل.²³

2-1-2 الحذف:

يعد الحذف ELLIPSIS ظاهرة لغوية مشتركة بين اللغات الإنسانية وإن كانت تتفاوت في بروزها بين هذه اللغات بين هذه اللغات، ويميل اللغويون العرب إلى أنّ اللغة العربية تفوق غيرها في بروز هذه الظاهرة لأن من أهم سماتها الإيجاز.²⁴

وقد لفت نص عبد القاهر هذا نظر بعض اللغويين المحدثين إلى أهمية ظاهرة الحذف، وصعوبتها في الوقت نفسه حيث يقول الدكتور سعيد بحيري «ونلاحظ ابتداء أنه قد حلل مسائل محدودة في هذا الباب وربما لم يهدف من تلك المعالجة إلا إلى الإشارة إلى مواضع تخفى عن القارئ المتمرس، لم يهتد إلى أسرارها من تصدي لبيان الوجوه والفروق في مسائل الحذف وتعليل مبدأ (ترك الذكر أفصح من الذكر)».²⁵

و يحدد هاليداي ورقية حسن الحذف بأنه "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية".²⁶ ويظهر الحذف فقط عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص حيث «يميل المتكلم إلى إسقاط بعض العناصر من الكلام اعتماداً على فهم المخاطب وإدراكه للعناصر المحذوفة تارة ووضوح قرائن السياق تارة أخرى»²⁷ ويقوم المتلقي بدوره مجموعة من العمليات الذهنية الناتجة عن الحذف لسد الفجوات التي تقع على المستوى التركيبي أو سطح النص اعتماداً على معرفته الأساسية بالأعراف التركيبية، وكذلك يشترط في الحذف إحاطة متلقي النص بمكونات السياق الاجتماعي المصاحب له ليتمكن من تقدير المحذوف تقديرًا صائبًا وحتى يحافظ على استمرارية فعل المتلقي²⁸.

أ. أنماط الحذف:

قد حاول القدماء تحديد أنواع الحذف حيث يقول ابن جني "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحروف وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"²⁹ ثم شرع في تفصيل كل شيء مستشهداً على ذلك بآيات من القرآن والشعر وممثلاً بأمثلة ... ويأتي من بعد ابن جني ابن هشام فيفضل أنواع الحذف ومن ذلك حذف

جملة القسم، وحذف جملة الشرط وحذف جملة جواب الشرط وحذف أكثر من جملة، ومثل لهذا الأخير بقوله تعالى: «فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى» البقرة 73 / 2 وعقب على ذلك بقوله: " إنَّ التقدير: فضرِبوه فقلنا " كذلك يحيى الله "30

أما هاليداي ورقية حسن فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف هي:

الحذف الاسمي: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: (أي سيارة ستركب؟) هذه هي الأفضل، أي هذه السيارة.

الحذف الفعلي: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، مثل: (هل كنت تسبح؟ نعم فعلت).

الحذف داخل شبه جملة: مثلاً: كم ثمنه؟ واحد دينار³¹

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المقدمة، فإن الحذف يقوم بدور اتساق، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة لأن في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص إلا ما دل عليه دليل من السياق.

أما عن الموضوع التي يكثر فيها الحذف فقد ذكرها "هاليداي" و"رقية حسن" جملة الاستفهام لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي.

وقد لاحظ الباحثان أن أكثر الأنماط قياماً بمهمة التماسك النصي هي:

حذف الجسم، 2- حذف الفعل، 3- حذف العبارة، 4- حذف الجملة، 5- حذف أكثر من جملة.³²

ب. علاقة الحذف بالإحالة:

أما العلاقة بينهما فهي واضحة على حد تعبير "صباحي ابراهيم الفقي" وهي الجوانب التي تولد أهمية الحذف في تحقيق التماسك النصي نظراً لوجود دليل مذكور يسهم في تقدير المحذوف.³³

فالحذف لا يتأتى إلا بوجود قرينة، هذه الأخيرة تحيلنا إلى المحذوف مباشرة ومن هنا فالعلاقة بين الإحالة والحذف وطيدة جداً.

التحليل النصي لقصيدة العلامة عبد الحميد بن باديس (شعب الجزائر مسلم) من خلال معيار الاتساق (النحوي):

في هذا التحليل سنقصر التطبيق على بعض الآليات التي أشرنا لها في الجانب النظري من المقال من خلال التعرّض إلى عناصر الاتساق النحوية.

الإحالة: Reference.

أ- الضمائر:

إذا ما تتبعنا قصيدة الشيخ بن باديس نجد هذه الضمائر بأنواعها المنفصلة والمتصلة والمستترة ولعل هذه الأخيرة نالت حظاً وافراً في القصيدة.

من الضمائر المنفصلة التي ذكرت في القصيدة والتي عاد أغلبها على الشعب الجزائري والنشء الذي سيقوم الأمة والتي ساهمت في تسديد الخطاب التوجيهي الحماسي للشعب الجزائري من خلال تعمّده ذكر الضمير بضمير فردي حتى يتأثر المتلقي بعاطفة الشاعر فينساق مع الدفق الوجداني الحماسي الذي يريده الشاعر له، من ذلك قوله:

يا نشء أنت رجأونا *** وبك الصباح قد اقترب

ولعل هذا موضع واحد ووحد للضمير المنفصل في القصيدة.

ومن **الضمائر المتصلة** الكثيرة ذكره للهاء ويشير بها إلى جماعة الغائبين وهو —كما أسلفنا— يشير إلى الشعب الجزائري والنشء القادم من الشباب، وأحياناً يدمج نفسه في شعوره في هذا الضمير، نجد ذلك في قوله: (عن أصله /إدماجا له) هذان موضعان في القصيدة، كذلك النون والتي تعود أيضاً على الشعب الجزائري والنشء ولها نفس الأثر والقصد من الشاعر في قوله: (رجاؤنا/ ودنا/ دُلنا/ حياتنا/ لقومنا/) وهكذا نماذج تمثيلاً لا حصراً، نجده يجسد ويشخص هذه الضمائر، ويجعل منها لساناً يناجي ويحمس النشء، ولهمم الشباب قدرة على القضاء.

ومن **الضمائر المستترة** والتي تعدّ العصب الذي احتوى الإحالة هنا في القصيدة واختلفت هذه الضمائر المستترة لتدلّ على الغائب و الحاضر والمتكلم وتعبّر عن الرغبة والحماس والاندفاع الذي يخوضه الشاعر في سبيل ارشاد العامة والنشء القادم ورفع الهمم، من ذلك قوله:

من قال حاد عن أصله *** أو قال مات فقد كذب

حاد فاعلها ضمير مستتر تقديره (هو)، كذلك **مات**.
ثم تأتي أفعال الأمر في باقي الأبيات كلها تؤكد على غلبة الضمير المستتر والذي في كل مواضعها يعود على من هو محور الكلام والذي لأجله وُصِّعت وأُخرجت هذه القصيدة البهيّة، وهذه الأفعال (خُذ/ خُض/ ارفع/ اصدّم/ اقلع/ ادق/ أهزّز) ثم ينتقل الضمير المستتر في موضعين (من كان / من كان) يعودان على من أراد بالجزائر خيراً أو سوءاً، ويتبعهما بالمدح أو الذم.

ويستمر الشاعر في وصف الصورة العظيمة حينما يعود به الضمير إلى الشعب الجزائري ، فيتصور البهاء والقوة والجلد والصبر والمقاومة والطلب الحثيث في العلم والعمل، ويهتف ضميره باسمه ويناجيه على القرب.

وما نلاحظه على الضمائر التي استخدمت على طول القصيدة هي ضمائر تتطابق وتناسب مع موضوع المدح والهجاء سواء أكانت ضمائر جمع أو مفرد، أو غائب أو متكلم، لأنها لا تخلو من لقاءات التعظيم والفخر تارة، ثم يتبعها الذم والسخط تارة أخرى وهكذا هي حال الغيورين على الوطن والأمة.

ب- اسم الإشارة:
منها ما يدلّ على الزّمان، ومنها ما يدلّ على المكان، ومنها للبعد ومنها للقرب، فهي تقوم بالربط القبلي و البعدي ومن ثمة تُسهّم في تحقيق انساق النص، ويتّضح دورها في التماسك في مواضع قليلة وهي:

هذا نظام حياتنا *** بالنور خُط وباللهب

هذا: اسم إشارة للدلالة على القريب وهذا واضح من خلال المعنى العام للبيت، وإذا ما نظرنا إلى البيت الذي يسبقه نجد قول الشاعر: من كان يبغى ودنا... وقوله: أو كان يبغى دُلنا... نجد أنّ فيه عناصر إشاريّة معجمية في (فعلى الكرامة) و(فله المهانة)، ثم يقول في البيت الذي يليه: هذا نظام حياتنا...، وهذا عنصر إشاري نصّي أحال المتلقي إلى ما سبق من العناصر الإشارية المعجمية وهنا تكمن أهمية اسم الإشارة في تحقيق الاتساق النصّي وتماسك أركانه، حيث ورد اسم الإشارة (هذا) اختزالاً للكلام واقتصاداً للجهد واجتناباً للتكرار حيث أحال إلى مجموعة أحداث تلتقي كلها في نتيجة ينبني عليها الحدث، أو المعنى الذي يحيل إليه العنصر الإحالي الجامع لكل ما تقدّم.

كذلك قوله:

هذا لكم عهدي به *** حتى أوسد في التُّرب

هذا: اسم إشارة للدلالة على القريب أيضا، هنا أيضا نجد أثر الاختزال واجتناب التكرار من خلال اسم الإشارة (هذا) فالشاعر أراد به قوله: (هذا لكم عهدي...أي عهدي في المجد الذي أريده لكم والذي أحاول بناء ما استطعت لكم...) فكل ما سبق اسم الإشارة من عناصر إشارية معجمية أحال إليها اسم الإشارة (هذا) ولنا أن نتبين مدى أهميته في هذا الموقع من القصيدة. ونجد أن اسم الإشارة، هذا هو النموذج الوحيد الموجود في كل أبيات القصيدة.

2-1 الحذف: Ellipsis.

وتمثلت صور الحذف في حذف المبتدأ، وحذف الفاعل في الجمل المبني فعلها للمجهول، وحذف المفعول به والمفعول لأجله، وحذف خبر الفعل الناسخ بدلالة خبر مثله عليه، وحذف جواب الشرط، وعلى ذلك ففي القصيدة حذف لكلمة، وحذف لتركيب، وحذف لجملة.

أ- حذف المبتدأ:

قام الشاعر بحذف المبتدأ فيما يسمى نحويا بالحذف الجائز، وذلك في قوله: (من قال حاد عن أصله** أو قال مات فقد كذب)، فجملة (قال مات) تقع في موقع الخبر، والتقدير (ومن قال مات فقد كذب)، ومع سهولة التقدير في هذه الصورة من الحذف نجد اشتراكا بين المبدع والمتلقي في تشكيل البنية التحتية للنص، فالشاعر قدم البنية السطحية محتوية على فجوة تحتاج من المتلقي ملء هذه الفجوة، وقيام المتلقي بعملية ملء الفجوات هذه تعد اشتراكا في تشكيل الصيغة النهائية للنص.

ب- حذف الفاعل:

حذف الشاعر الفاعل وأقام المفعول مقامه في الصورة المعروفة نحويا بالمبني لما لم يسم فاعله، أو المبني للمجهول، أو باب المفعول الذي تعده فعله إلى مفعول، وذلك في قوله: (وأذق نفوس الظالمين**سما يُمزج بالرهب)، ففعل يُمزج يحتاج إلى فاعل يمكن للمتلقي به أن يسد هذه الفجوة الناتجة عن حذف الفاعل، فيحاول تأويل المحذوف أو تقديره بأنه نحن أو بديلها (نا) أو أنت أو بديلها (الهاء) ليكون أصل الجملة نمزجه أو مزجنا أو تمزجه أو أمرُجه، ثم حذف الضمير وأعد الفعل إعدادا جديدا يناسب نائبا عنه. وقد ساعد على عدم الارتباك في التقدير الكلام التالي للمحذوف وهو (وأذق نفوس الظالمين). إن سهولة التقدير لملء الفجوة التي أوجدها المبدع يسهم في عدم إضاعة الوقت والجهد في محاولة التقدير.

وقوله: (هذا نظام حياتنا** بالنور خُطّ وباللهب) وقوله: (...حتى أوسد في التُّرب) في هذين التركيبين إذا ما قام المتلقي بملء الفجوتين نجده يستطيع مشاركة في التأليف منه أن يُؤوّل الأولى بضمير جمهي يعود على الأمة الجزائرية فنقول (خطّطناه أو نخطّه) ، وأصل التركيب في بنيته السطحية: بالنور خطّ الشعب ، فتم حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه، كما عدل له الفعل بالبناء للمجهول، وليست هناك صعوبة كبيرة في ملء فراغ هذا التركيب، الأمر الذي لا يشنت ذهن المتلقي، بل يدفعه إلى عملية الشدّ التّشط للذاكرة، كذلك الأمر مع الفعل (أوسد) فنؤوّل فيه الفاعل بـ(توسّدونني) بضمير جمعي يعود على النشء.

هـ حذف المتعلق:

حذف المتعلق في عدة مواضع منها قول الشاعر: (يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب) أي يا نشء بك رجاؤنا/ أو رجاؤنا بك...، وقوله: (وارفع منار ...) (واهزز نفوس الجامدين...) أي ارفع واهزز إليك...وقوله: (واذق ...) يُقدّر معها "واذق منك..."

خاتمة:

هذه دراسة أو هي محاولة لمقاربة قصيدة العلامة بن باديس (شعب الجزائر مسلم) في ضوء لسانيات النص، أردنا من خلالها الكشف عن الآليات التي حققت لها النصية - وإن كنا اقتصرنا على آلية الاتساق-، وفيه على الاتساق النحوي فقط، والبحث في السبل التي أسهمت في تضامها نصًا واحداً، وقد توصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج بيّنت أن الاتساق النحوي أسهم وبصورة واضحة في تحقيق مبتغاه، والنتائج فيما يلي:

- بروز الإحالة الضميرية وبشكل لافت للانتباه ساهم في تحقيق الاتساق، سيما وأنها تحيل في معظمها إلى الضمير الجمعي الذي يعني فيه الشاعر الشعب الجزائري والنشء القادم من الشباب وهو بهذا يحيلنا إلى محور الموضوع، وهذا ما جعل القصيدة مربوطة من أولها إلى آخرها من خلال هذا الضمير.
- أسهم الحذف بأنواعه (الاسمي الفعلي) في اتساق القصيدة، وذلك من خلال استدراج القارئ وتنبيهه إلى ما حذف، فيحاول ملء الفراغات بالرجوع إلى ما قبلها، أو بالتطلع إلى ما سيلحقها، ليتمكن من ربط اللاحق بالسابق.
- تباينت وسائل الاتساق في نسب ورودها في القصيدة، فبينما زاد بعضها كالإحالة ومنها ما قلّ كالحذف مقارنة بالإحالة.

هذا ما سهّل واتّضح إيراده، ولسنا في هذا العمل نتقلد الكمال، وإنّما هي محاولة قد سبقنا إليها من أفاض الباحثين، نتوسّم فيها الإضافة طالبين من المولى عزّ وجلّ أن يفيد بها من مرّ عليها. وفي الأخير نحمد الله على توفيقه ونرجوه السداد في أعمالنا كلّها، فهو وليّ ذلك والقادر عليه، وصلّ الله وسلم على سيّدنا محمد.

هوامش الدراسة :

- 01- ابن منظور لسان العرب، مادة (و.س.ق) ج 10. دار صادر بيروت 1994 ص: 378.
- 02- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (و س ق)، ج 3، ص : 289 دار الكتاب العربي، د ت
- 03- بشير ابرير، استراتيجية الانسجام في قراءة النص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر ص 3
- 04- ادوارد سابير، اللغة (مقدمة في دراية الكلام) ج 1، ترجمة المصنف عاشور، سلسلة مساءلات الدار العربية للكتاب، تونس، 1995، ص 52.
- 05- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي ط 02 2006 ص 05.
- 06- ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص: 187.
- 07- المرجع نفسه ص: 197.
- 08- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979، ص 123.
- 09- عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 1425 هـ، 2004 م..
- 10- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، 1424 م، ط 1، ج 1، ص : 124.
- 11- محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2006، ص: 1916.
- 12- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والافراد، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1988، ص: 172.
- 13- ج.ب. براون/ ج. بول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود الرياض، 1997 ص: 37.
- 14- الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 118.
- 15- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون الملفوظ به نصًا، ص 118.
- 16- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

- 17- الأزهر الزناد، نسيح النص، ص 9/1.
- 18- ج.ب براون، ج بول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، ص 256
- 19- محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18
- 20- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص 137.
- 21- محمد خطابي، لسانيات النص ص: 19
- 22- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، ص 128.
- 23- محمد خطابي، المرجع نفسه ص 19.
- 24- طاهر حمودة، ظاهرة الحذف في الدين اللغوي، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط 1999، ص 9
- 25- المرجع نفسه، ص 12
- 26- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 21
- 27- صبحي الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص 191
- 28- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22
- 29- ابن جني، الخصائص، ج 2، 362
- 30- ابن هشام، معنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط 1998، ص 628
- 31- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22
- 32- صبحي ابراهيم الفقي، علم لغة النص، ج 2، ص 196
- 33- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والافراد، ص 340

